حدث في رمضان

تأليف

مشعل عبد العزيز الفلاحي

بسم الله الرحمن الرحيم

حدث في رمضان

المؤلف: مشعل عبد العزيز الفلاحي

رقم الإيداع

الطبعة الأولى

الناشر:

مكتب راية التوحيد
لصف وتحقيق الكتب الإسلامية
٠١٠٦٥٣٩٤٨٩٦

حقوق الطبع محفوظة

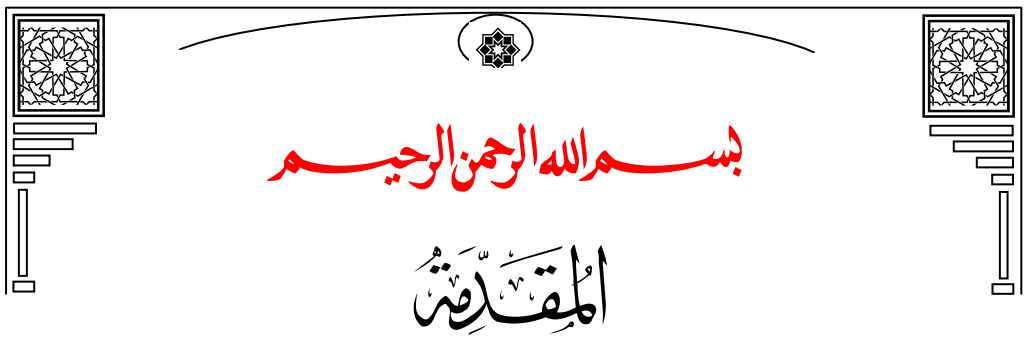

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين،

وبعد:

فإن المتأمل في الأحداث التى جرت في شهر رمضان يجد فيها مادة تربوية نافعة للبناء.

وقد حاولت قراءة الأحاديث الواردة في كتاب الصيام والأحداث التى جرت في تلك الأحاديث وبنيت منها مادة صالحة لبناء الإنسان، ويمكن أن يتم تفعيلها من خلال خطبة الجمعة أو المجالس الرمضانية أو يمكن أن تكون مدار النقاش في جملة من التطبيقات والأنشطة التى تتم في أيام الشهر.

والله المسؤول أن ينفع بها ويمد في أثرها ويحيى بها أجيال الأمة إنه ولى ذلك والقادر عليه.

المؤلف

د / مشعل عبد العزيز الفلاحي

Mashal001@hotmail.com

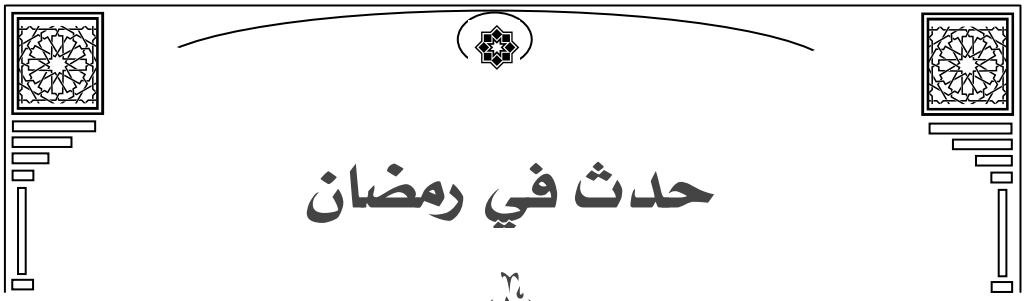

حدث في رمضان

(١)

مدارسة القرآن

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، **وبعد:**

كان يأتى إليه لمامًا وغالب هذا اللقاءات لا تمتد طويلاً مع أن وشيجتها متينة جداً في أصلها وقاعدتها وأسبابها.

كانت هذه اللقاءات محمّلة بأهداف ورؤى وتكاليف وكان يستقبلها والفرح والأنس يغمره للدرجة التى إذا تأخرت قلق وربما خرج يشتهى الموت لفقدها!

وظل رمضان يصنع فارقًا في هذا اللقاء ويرصد له مباهج مثيرة ويبعث شجونه لأقصى درجة ممكنة فتحوّلت تلك اللقاءات التي تأتي لمامًا وتنقضي في أقصر أوقاتها إلى

لقاءات طويلة، وتحوّل هدفها من إيصال رسالة إلى مناقشة أفكار وبناء تصورات ومفاهيم من خلال منهج مرسوم لتلك المفاهيم والأفكار والتصورات.

هذه معالم ورسوم ذلك الحدث الذي كان يأتي في رمضان بالذات ففى «الصحيحين» من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاس بالْخَيْر، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِى شَهْر رَمَضَانَ إنَّ جِبْريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَلْقَاهُ، فِى كُلِّ سَنَةٍ، فِى رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ»[(١)].

كان هذا اللقاء في كل ليلة من رمضان وكانت مائدته أعظم كتاب نزل على المخلوقين، وكانت الطريقة التى يتم بها التعامل مع هذا الكتاب مختلفة عما عليه سائر المسلمين اليوم!

لعلك تعيد معى تصورات تلك اللحظات الإيمانية التى يلتقي فيها ملك السماء برسول الأرض، اللحظات التي

(١) أخرجه البخاري (٦)، ومسلم (٢٣٠٨).

تجمع بين ملك ورسول، اللحظات التى لم يعد فيها ثمة فارق بين مباهج السماء وأحداث الأرض!

كان هذا اللقاء يجري كل ليلة من ليالى رمضان وإذا أردت أن تعرف مكانة هذا اللقاء فانظر للمسافة التى يقطعها جبريل عليه السلام من السماء إلى الأرض من أجل هذا المعنى كل ليلة! يا الله!

لو منحنا عقولنا فسحة لتتأمل هذا المشهد وهذه المسافة المقطوعة وهذه الرحلة المضنية كل ليلة!

لن ينقضى عجبى وعجبك إلا إذا أدركنا أن هذا العناء كان من أجل القرآن!!

من أجل دراسة معاني هذا القرآن الذي لوّثه الغبار على مكاتبنا وشوهته الشمس في مداخل بيوتنا، وطالته أيدي النسيان وهو في أدراج وجنبات مساجدنا!

كم مرة يلفنى الحزن وأنا أرى مصحفًا خاويًا في أدراج مكتب!

وإذا امتدت إليه يد قرأت منه للبركة فحسب!

كم مرة راعنى صوت الحادي وهو ينعى غفلتنا عنه ويزري بنا ونحن نزّور بأوقاتنا عنه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس:٥٧].

المبكى والباعث للحسرة في ذات الوقت أنه حتى رمضان ينتهى مشهد لذته حين ترى تزاحم أبناء المسلمين على حرفه دون معناه!

يا لها من حسرة تلك التى ترى فيها جبريل وهو يمضى في رحلة مضنية من السماء إلى الأرض كل ليلة على مدار شهر كامل في حين لم يكلّف الواحد منا أن يأخذ تفسيراً مختصراً ليتعرّف منه على معاني سورة الإخلاص فحسب!

يا أيها القرّاء لهذا الحرف أما آن للقرآن أن يتحوّل من حرف إلى معنى!

أما آن لنا أن نتحلّق حول بعضنا لنتذاكر معانيه ونروي قلوبنا بمباهجه!

يا أيها المسلمون!

هذا أوان القرآن، والذكريات ومشاهد الأفراح.

حدث في رمضان

(٢)

تعظيم النص الشرعي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد:

بينما أتجوّل في أحاديث الصيام استوقفتني هذه القصة:

أخرج مسلم في «صحيحه» عَنْ كُرَيْب: أَنَّ أُمَّ الْفَضْل بِنْتَ الْحَارِثِ، بَعَثَتْهُ إِلَى مُعَاوِيَةَ بالشَّام، قَالَ: فَقَدِمْتُ الشَّامَ، فَقَضَيْتُ حَاجَتَهَا، وَاسْتُهِلَّ عَلَيَّ رَمَضَانُ وَأَنَا بالشَّام، فَرَأَيْتُ الْهِلَالَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، ثُمَّ قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فِي آخِرِ الشَّهْرِ، فَسَأَلَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ثُمَّ ذَكَرَ الْهِلَالَ فَقَالَ: مَتَى رَأَيْتُمُ الْهِلَالَ؟ فَقُلْتُ: رَأَيْنَاهُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، فَقَالَ: أَنْتَ رَأَيْتَهُ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، وَرَآهُ النَّاسُ، وَصَامُوا وَصَامَ مُعَاوِيَةُ،

فَقَالَ: لَكِنَّا رَأَيْنَاهُ لَيْلَةَ السَّبْتِ، فَلَا نَزَالُ نَصُومُ حَتَّى نُكْمِلَ ثَلَاثِينَ، أَوْ نَرَاهُ، فَقُلْتُ: أَوَ لَا تَكْتَفِي بِرُؤْيَةِ مُعَاوِيَةَ وَصِيَامِهِ؟ فَقَالَ: لَا، هَكَذَا أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ(١).

ما استوقفني في هذه القصة كلمة هذا العَلَم المثير في رحاب العلم ابن عباس وهو يجيب على تساؤل كريب رضى الله تعالى عن الجميع «هَكَذَا أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ»

وما حاجة الأمة اليوم إلى شيء حاجتها إلى روح هذا الوحي وتمثّل كلمة هذا الحَبْر: «هَكَذَا أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ»

ماذا لو كانت الأمة اليوم تتحرّك بكافة أفرادها ومسؤولياتها وأنظمتها من خلال هذا المعنى «هَكَذَا أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ»

وقد قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ كلمته الشهيرة: «لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها» ولم يعد خافيًا اليوم تلك المحاولات التي يرقق فيها دين الله تعالى باسم الفقه

(١) أخرجه مسلم (١٠٨٧).

والتيسير وفهم الواقع ومسايرة العصر وهى في ذات الوقت مدافعة لمفهوم تلك الكلمة المتينة في الواقع.

ما دفعنى لذلك القول ما رأيته في أوساط ثلة من الأخيار الذين لم يعد الواحد منهم يتحرّج من الأخذ من لحيته حتى لم يبق لها سوى صورة، ومد ثوبه حتى جاوز به الكعب، ولم تعد الموسيقى عنده ذات شأن، وتوسّع في بيعات الربا بحجة فتيا لا واقع لها.

ورُقق الحجاب في أوساط نسائنا حتى بات لثمة تستر جزءاً من وجهها فحسب، وكل ما كان بالأمس محظوراً عاد لا بأس به، وفيه خلاف، والمسألة فيها قولان. وإذا كان هذا في شأن المتمثلين للدين في الأصل فما الشأن في غيرهم!

وما سقته هنا مجرد أمثلة ونصوصها الشرعية في غاية الصحة ومع ذلك طالتها أيدي التأويل وتسويغ المخالفة

ووجود الأعذار الكافية لإزاحة معانيها ويمكن مد هذه الصور إلى أكثر من نص شرعى.

متى يارفاق تجري هذه الشريعة بأحكامها في قلوبنا ومشاعرنا وواقعنا كالماء الزلال!

متى نتمثّل أحكامها والعز يدفع بنا إلى عنان السماء!

رضى الله عنك يابن عباس وجزاك الله تعالى ما جزى عالمـًا ومصلحـًا عن أمته وردنا وسائر هذه الأمة إلى مباهج هذه الشريعة الغراء

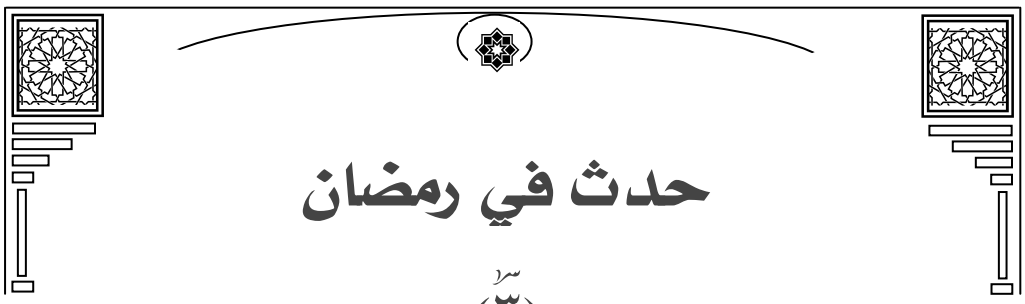

حدث في رمضان

(٣)

القـــدوة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد:

ما حاجة الأمة اليوم إلى شيء حاجتها لمعرفة سنة نبيها ﷺ وهديه في الحياة.

كم ستكون مباهج هذه الأمة لو عنيت بتدبر وفقه سيرة نبيها ﷺ! حاول الإعلام وما يزال جاهداً في خلق قدوات جديدة تعلّقت بها أجيال الأمة وتعرفت على سيرها وحفظت لحظاتها اليومية وقرأت عنها تفاصيل دقيقة للدرجة التى باتت أسماؤها حديث المجالس والسُّمّار!

والمؤسف أن هذا الجهد الإعلامى كان على حساب القدوة الأصل فغابت معالم الهدي والنور الإلهي بقدر

حضور هذه الأسماء في عقول أبناء الأمة كل يوم.

ولعلى اليوم وأنا أقص أحداث رمضان من خلال الوحى أنقل لأجيال هذه الأمة مشهداً كانت يحدث في بيت رسول الله ﷺ وينير أرجاءه ويثير مباهج الأنس والفرح والطمأنينة فيه وهو ما رواه مسلم عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُقَبِّلُ وَهُوَ صَائِمٌ وَكَانَ أَمْلَكَكُمْ لِإِرْبِهِ»(١).

هكذا كان ﷺ في بيته يثير مباهج الحياة ويصنع من اللحظات العارضة أنسًا وذوقًا وجمالاً في حين يقوم بإدارة الحياة ويصنع تاريخ البشرية في حقبة من أصعب حقب التاريخ على الإطلاق، ولم يتعارض معه أنس زوجه ومباهج بيته وصناعة مساحات الربيع مع تلك الهموم التى كان ينوء بحملها، وتلك الأثقال التى كانت ترهقه.

وكأنه يقدّم رسالة لكل فرد في الأمة أن التوازن ليس خياراً مطروحًا في إدارة شؤونك اليومية وإنما قضية

(١) أخرجه مسلم (١١٠٦).

أساسية الخلل فيه خلل في إدارة حياتك كلها. مؤسف أن بعضنا يعيش لمشروعه الشخصى أو يثير مباهج عمله ولكن في المقابل على حساب بيته وأسرته وحياته العائلية، وهذا مجرد نموذج لخلل يجتاح حياتنا بشكل مخيف.

فإذا ما أمعنت النظر قليلاً رأيت كيف كان ﷺ يعيش الحب ويجد له تطبيقات كثيرة في بيته ويثير مباهجه في صور تستدر عواطف الشوق إلى أبعد الحدود ويجد في لحظات الجوع والعطش فُسحًا كثيرة لمباهج الحب ولواعج الشوق! في حين يضن كثيرون بكلمة حب أو رسالة شوق أو هواتف ذكرى لزوجة تجتاحها مشاعر الحب ولا تجد مجرد محاولة لإشباع تلك اللحظات فيها وتعود البيوت شبيهة لحد كبير بالسجون التى لا ترى فيها إلا مشاهد القسوة والعنف والإهمال!

إن جملة كبيرة من حوادث الشكاوى في المحاكم بين الأزواج وحالات الطلاق والفراق في مثل زماننا سببها

فقدان مباهج الحب وانشغال كل واحد من الزوجين عن الآخر وكان يمكن لكلمة حب ورسالة شوق وحديث مشاعر أن يحيل بيوتنا إلى ساحات من الجمال نجد فيها رواء الحياة التى نتمناها فكيف لو كانت هذه المشاعر تطول الأسرة كلها ويجد فيها الأبناء حصانة فكرية ونفسية وعاطفية تقيهم غائلة المتربصين بهم والمترصدين لأعراضهم في كثير من الأحيان.

إننى أود أن أقول في الختام لسنا بصدد اتهام بعضنا ورمى كل طرف منا للآخر بالتقصير وإنما بحاجة إلى مد مشهد البيت النبوي إلى بيوتنا، بحاجة أن نبدأ هذا المساء خطوات الحب من جديد، بحاجة أن نجرب إثراء بيوتنا بكلمات الحب ورسائله وتطبيقاته وتحويل تلك المساحات التى طالتها الصحراء في زمن طويل إلى ساحات ربيع.

من فضلك أيها الزوج لترى منك هذه الوردة في بيتك مشاعر وجدانك وعاطفتك، اسمعها من فضلك مشاعر حبك، قل لها ما زلتى خياري الأول لم يتغيّر بعد!

وأنت أيتها الوردة دلليه ردي له مشاعر أشواقه بأوفى ما يكون، قولى له: أنت روح هذه الحياة ورسول حبها الكبير، كوني معه في فرحه وحزنه في حال حضوره وغيابه أشعريه أنه كل شيء في بيته وسيكون لك أوفى ما يكون. صلى الله عليك يا رسول الله كلما حاولت أن أقفل دائرة الحديث وأختم مشهد هذه الصورة تبدّى لى مشهده من جديد وهو يداعب زوجه ويؤانسها بالتقبيل في لحظات الجوع والعطش والتعب وتساءلت: إذا كان هذا المشهد في رمضان فكم هى مشاهد الحب التى كانت تدار في غير رمضان!! واشوقاه لذكرياتك يانبي الله!

حدث في رمضان

(٤)

رعاية الحرمات

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، **وبعد:**

روى البخاري ومسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ هَلَكْتُ. قَالَ: «**مَا لَكَ؟**» قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا؟**» قَالَ: لاَ، قَالَ: «**فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ**»، قَالَ: لاَ، فَقَالَ: «**فَهَلْ تَجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا**». قَالَ: لاَ... [١] الحديث.

(١) أخرجه البخاري (١٩٣٦)، ومسلم (١١١١).

يا الله! فقط جامع زوجه في نهار رمضان ففرضت عليه الشريعة عقوبة يجد لهيب أوارها وحرارة لظاها ما عاش!

تلك اللحظة المباحة في أصلها المحرمة لعارض الصوم حين استبيح حماها ولم تُرع حرمتها كان الجزاء قاسياً ومؤثراً للدرجة التى إذا لم تجد عتق رقبة فعليك بمكابدة شهرين متتابعين تتفوّق فيها من جديد على شهواتك ونزواتك العارضة فتعظّم شعائر الله تعالى، وتقوم له بحقوقه. لعل الشريعة أرادت بهذا الجزاء أن تبين لنا أن قدراتنا وإمكاناتنا أقدر منها على السقوط في حضيض المخالفة، وأن في إمكان الإنسان مهما كانت ظروفه العارضة أن يرتفع فوق شهواته العاجلة وأن يتعلّم في ذات الوقت أن قليلاً من العاجل موجب لكثير من الخسران!

يا الله كم لنصوص هذه الشريعة من جلال وهيبة لو كنا نعى مداها في النفوس! هذه العقوبة القاسية الصارمة في مقابل لحظة احتاج فيها الرجل زوجه في غير وقتها

المأذون! وهى في ذات الوقت حاجة فطرية في نفس كل إنسان ذلك لأن الإسلام يحب للمؤمن أن يتحلل من الطين ويتعالى على ضعفه البشري ويسمو بروحه ودوافعه ونزعاته إلى ملكوت السماء يستثقل هذا الجسد واحتياجاته ويستقبل وحى السماء وأنواره، ويقدس تلك الشريعة الغراء، فيأتمر بأوامرها ويقف عند حدودها فكيف بمن يواجه نصوص هذه الشريعة في كل مرة بالتشكيك ويجهد في صدام النصوص لبعضها، ويخوض برأيه في أي مسألة دون حرج، وكلما قام نص من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ دفعهما عن واقعه وهو متكئ على أريكته دون أن يكلّف نفسه حتى مجرد سؤال أهل الذكر.

إن هذا الحدث يعيد مكانة نصوص هذه الشريعة في نفوسنا، ويحملنا على تعظيمها وإجلالها بالقدر الذي يجعلها كفيلة في النهاية بمشاهد الحياة التى نستقبلها في الدارين.

حدث في رمضان

(٥)

يُسْر الشريعة

حدّث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قائلاً:

«سَافَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي رَمَضَانَ، فَصَامَ حَتَّى بَلَغَ عُسْفَانَ، ثُمَّ دَعَا بِإِنَاءٍ فِيهِ شَرَابٌ، فَشَرِبَهُ نَهَارًا لِيَرَاهُ النَّاسُ، ثُمَّ أَفْطَرَ حَتَّى دَخَلَ مَكَّةَ».

فقال ابن عباس:

«فَصَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَفْطَرَ، فَمَنْ شَاءَ صَامَ، وَمَنْ شَاءَ أَفْطَرَ»(١).

(١) أخرجه مسلم (١١١٣).

هكذا هو الإسلام يعتبر فرائضه تهذيباً للإنسان وتربية له فإذا ما جاوزت ذلك وشكّلت خطراً على نفسه وأدخلت الضيق على مشاعره وألجأته إلى الحرج والمشقة توقفت عن سريان أحكامها ونقضتها من ذمته واعتبرت ذلك المكلّف لحظتها بريئاً من تكاليفها خالياً من مسؤولياتها.

إنها جاءت لتهذيب أخلاقه وتربية نفسه وصقل مشاعره فإذا صارت ثقلاً وحرجاً ومشقة لم يعد لها حكمة من ذلك التكليف.

كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَرَأَى زِحَامًا وَرَجُلًا قَدْ ظُلِّلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «**مَا هَذَا؟**»، فَقَالُوا: صَائِمٌ، فَقَالَ ﷺ: «**لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ الصَّوْمُ فِي السَّفَرِ**»(١).

وفي رواية أخرى: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَافَرَ فِي رَمَضَانَ، فَاشْتَدَّ الصَّوْمُ عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَجَعَلَتْ رَاحِلَتُهُ تَهِيمُ بِهِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، فَأُخْبِرَ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَمَرَهُ أَنْ يُفْطِرَ ، ثُمَّ دَعَا

(١) أخرجه البخاري (١٩٤٦)، ومسلم (١١١٥).

النَّبِيُّ ﷺ بِإِنَاءٍ ، فَوَضَعَهُ عَلَى يَدِهِ ، ثُمَّ شَرِبَ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ»[(١)].

أراد ﷺ أن يبين أن الشريعة جاءت لتهذيب نفس العبد وليس لتعذيبه، كأنه ﷺ يقول لنا: شريعتكم سمحة يسيرة خالية من الآصار والأغلال تتعامل مع الإنسان وفق ظروفه وأحداثه، ولا تكلفه سوى طاقته وسعته، ولعل هذا الحدث يمسح صور الضبابية التى تغشى عيون البعض حول هذه الشريعة وأنها ضيقة ولا تراعى المشاعر والنفسيات وتبين لهم أنهم لم يقرؤوها قراءة ممعنة ليتعرفوا على مشاهد الجمال في مضامينها، وأراد ﷺ في المقابل أن يثير مباهج القدوة فشرب لإدراكه ﷺ أنها ستلغى كثيراً من أسئلة الركب وتثير مباهج العمل في كل صفوف أصحابه.

(١) أخرجه ابن خزيمة في «صحيحه» (٢٠٢٠)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣٢٢٨).

كان يمكن للنبى ﷺ أن يأذن لحظتها لذلك المجهد من التعب بالشرب ويمضى غير أن الصورة ستظل ناقصة المعنى وسيتعثر في تقدير الظرف العارض كل إنسان ثم لا يجد كثيرون وضوحـًا لتلك الصورة العارضة.

وما حاجة الأمة اليوم لشىء حاجتها لذلك القدوة الذي يكون حاضراً في أحداثها لحظة بلحظة! كم هى حاجة البيوت لزوج يثري مباهج الشريعة في أرجاء بيته! وكم هى حاجتها لأب يهيض مباهج هذا المعنى في حياتهم كل حين!

ما أحوج مساجد المسلمين إلى إمام يدرك أن حاجة مأموميه إلى عمله وقدوته أكثر بكثير من حاجتهم إلى حديثه وموعظته!

ما أكثر حاجة الأمة اليوم إلى عالم يبهجها بقدروته، ويثير مكامن الشوق فيها بمجرد رؤيته وهو يجري في فلك هذه الشريعة ويقوم بواجباتها ويبسط آثار القدوة من خلال تلك المعالم في حياته!

كان ﷺ يشعر بأثر هذه القدوة ويستلهم مواقفها في كل حين ولعل هذا الحدث يعيد لنا رسم مباهج هذا المعنى في حياتنا من جديد. والشوق إلى قدوة يتحرك في بيته وطريقه ومسجده وساحات عمله!

حدث في رمضان

(٦)

مشاهد المتسحرين في السماء

حدّث أبو سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبى ﷺ قال: «**فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الْمُتَسَحِّرِينَ**»(١) تعال معى لهذا المشهد الرمضاني الذي يتم في كل ليلة من ليالى رمضان!

مشهد تتناغم فيه أحداث الأرض مع أحداث السماء!

بمجرد أن تبدأ سحورك يبدأ ثناء الله تعالى عليك عند ملائكته، وتلهج الملائكة لحظة سحورك بالدعاء!

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٢)، والروياني في «مسنده» (١٤٣٢)، وحسنه في «صحيح الجامع» (٣٦٨٣)، وصححه الأرنؤوط في تحقيقه للمسند.

يا الله كم في هذا المشهد من أفراح لو أدرك الإنسان مشاهد هذه اللحظة وتخيلها وسرّح النظر في مضامينها لقام إلى سحوره ومشاعره ترقص فرحـًا وسروراً لثناء ربه ودعاء ملائكته!

هذا في بضع لقيمات أثناء السحر فكيف بصاحب الطاعة والقائم بحدود الله تعالى والمعظّم لشعائره في سائر حياته!

ولو تساءلت لم هذا الإجلال لأكلة السحر بالذات ؟ لم هذه العناية الكبيرة الجليلة بهذه اللحظات من عمر إنسان ؟

ومن الإجابات التى ترتسم من أول لحظة تجاه هذا الحدث أن كل حكم في الشريعة له منزلته الخاصة ويستحق الاحتفاء وترصد له مكارم وهبات تجل عن تخيّل الإنسان!

وتمد في مساحات الأمل لأبعد الصور فإذا كان الله تعالى الخالق الكبير المتعال جل في علاه يحتفى بالمتسحّر للدرجة التى يثنى عليه أمام ملائكة السماء لحظة سحوره فكيف به تعالى لمن جهد عمره في نيل رضاه!

كيف به تعالى أمام سجود عبده في لحظات السحر ورجائه وسؤاله وتفريح كربه في مواقف الحاجات! هذا ربنا يحتفى بنا في اللحظات التى نمارس فيها بعض شهواتنا فكيف ونحن نجهد في عمل أو نتخلى عن شيء من أجله تعالى!

يا الله كم يستحق هذا المعنى من مشاعرنا ووجداننا ولحظات الأشواق في حياتنا!

ما زالت هذه الشريعة تفضى لنا بسماحتها وجمالها ويسرها للدرجة التى تهيّج مشاعرنا لنتقوى على عبادة الصيام، تحفّزنا للأكل حتى لا يخدش الجوع مشاعرنا ويأتي على بعض أخلاقنا ويفقدنا آثار هذه العبادة العظيمة!

تُرى ماذا يمكن أن يقول ذلك المتهوّك في شريعة الله تعالى وهو يلمزها بالحرج والمشقة والضيق أمام هذا المعنى الجمالى المثير! فكيف لو استطاع أن يمد في قراءة نصوصها أبعد من هذا المدى!

يا أيها المتسحر تذكَّر وأنت تتجه لسحورك قول نبيك ﷺ للعرباض بن سارية وهو يدعوه لأكلة السحر: «**هَلُمَّ إِلَى الْغِدَاءِ الْمُبَارَكِ**»(١).

وتأمل قوله ﷺ وهو يقول عن أكلة السحر «**إِنَّهَا بَرَكَةٌ أَعْطَاكُمُ اللهُ إِيَّاهَا، فَلَا تَدَعُوهُ**»(٢).

وإياك أن تتهاون فيه ورسولك ﷺ يقول لك «**السَّحُورُ أَكْلُهُ بَرَكَةٌ ، فَلاَ تَدَعُوهُ ، وَلَوْ أَنْ يَجْرَعَ أَحَدُكُمْ جُرْعَةً مِنْ**

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٢٧)، وأبو داود (٢٣٤٤)، والنسائي (٢١٦٥). وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٠٤٣).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٣٧٠)، والنسائي (٢١٦٢). وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ٢٥٨) رقم (١٠٦٩).

مَاءٍ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الْمُتَسَحِّرِينَ»[١].

وتذكّر وأنت تتسحّر أنك تستجلب خيرات السماء ومشاهد رضاه.

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٢)، والروياني في «مسنده» (١٤٣٢)، وحسنه في «صحيح الجامع» (٣٦٨٣)، وصححه الأرنؤوط في تحقيقه للمسند.

حدث في رمضان

(٧)

هموم المربين

أخرج البخاري ومسلم في «صحيحيهما» من حديث الرُّبَيِّع بنْتِ مُعَوِّذٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كُنَّا نَصُومُ وَنُصَوِّمُ صِبْيَانَنَا، وَنَجْعَلُ لَهُمُ اللُّعْبَةَ مِنَ العِهْنِ، فَإِذَا بَكَى أَحَدُهُمْ عَلَى الطَّعَامِ أَعْطَيْنَاهُ ذَاكَ حَتَّى يَكُونَ عِنْدَ الإِفْطَارِ»(١).

تأمل هذا الحدث الرمضاني الذي تحكى فيه الربيّع قصة مجتمع وثوران القيم فيه للدرجة التى صارت هى المحرّك لشؤونهم وشجونهم وحكاية الثقافة السائدة في تلك الحقبة من التاريخ، كانت التربية تشغلهم للدرجة التى تسيطر على همومهم وأوقاتهم ويصرفون لها جزءاً كبيراً من

(١) أخرجه البخاري (١٩٦٠)، ومسلم (١١٣٦).

تفكيرهم ويبذلون لها الوسائل الممكنة لنضجها وتحقيق ثمارها. إنهم لا يكتفون بتعليم أبنائهم أصول دينهم وحثهم على اعتناق مبادئه، كلا!

وإنما يجهدون في تمثّلهم له حتى في الشعائر المستحبة غير الواجبة للدرجة التى يتفرغون لهم ويمنحونهم الأوقات ويبقون معهم يمارسون أنشطة تسلّيهم عن الجوع والألم حتى يتم الواحد منهم يومه في الصيام.

لم يفرض الصوم بعد على هؤلاء الصبية ولكن ذلك الجيل كان يؤمن بأثر التربية ودورها الكبير في تنشئة جيل قادر على استيعاب مضامين تلك المفاهيم والحياة بها في مستقبل الأيام، ويدرك تماماً أن كل جهد مبذول في أيام الصغر أعود ما يكون على أصحابه مع الزمن.

تأملت هذا الحدث وقارنته بحال بعض أسر المسلمين التى لا تقيم أبناءها لصلاة الفريضة أصلاً، وقد ترى هؤلاء الأبناء ينامون عن أعظم فرائض الله تعالى ثم لا يُحرك لهم

هذا المشهد ساكنـًا فضلاً أن يشعروا بمسؤليتهم تجاه أول سؤال يُسألونه بين يدي الله تعالى يوم القيامة!

ولو أمعنت قليلاً فى المقارنة لرأيت فارقـًا بين أسر تشغلها التربية وتسيطر على همومها كما تحكى الربيّع وأسر تشتري لأبنائها صنوف التقنية المدمّرة لأخلاقها وقيمها ومبادئها ولم تتجاوز بعد سن السابعة أو الثامنة ثم لا تكلّف نفسها السؤال عن مآلات هذه الجوانب وآثارها القيمية.

وأسر أخرى لا تعتنى بالحجاب لبناتها وتقارب البنت البلوغ وهى لا تعرف الحجاب أو لم تشعر بأهميته في أوساط الأسرة وكبرت فشعرت بضيقه ولم تأنس به وعاشت في صراع دائم معه فلا هى التى وصلها مفهومه الشرعى ولا هى التى تربت على قيمه ومبادئه من البدايات.

إن المسألة ضخمة جداً ويستحق هذا الحدث القراءة الممعنة في مضامينه ومالم تتحوّل التربية إلى هموم مشتركة من قبل البيت والأسرة والمدرسة والمحاضن التربوية التى تنشد هذه المعاني وإلا سيتولى الله تعالى دينه كما قال:

﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد:٣٨]

إننا بحاجة ماسة جداً إلى وعى بأثر التربية وخطر التخلى عنها وفقه الوسائل الداعمة لتأصيلها في نفوس الأجيال وعلينا أن نؤمن في المقابل أن في مجتمعاتنا رؤى وأفكار وتجارب واقعية لتلك الأحلام فالأسر التى عنيت بأبنائها لحفظ كتاب الله تعالى ورابطت على هذا المعنى حتى تحقق لها ما تريد والأسر التى شعرت بقلق التقنية ومساحاتها السلبية فرشدت استخدامها داخل البيوت وانشغلت بتأصيل القيم والمبادئ في نفوس أبنائها بلغت مناها في كثير من الهموم التى تشغلها.

إن الأمة اليوم تواجه تحديًا كبيراً مع عدوها وأبناؤها هم عتادها وقوتها ونهضتها ومالم تستشعر الأسر والبيوت دورها وأثرها في هذا الشأن وإلا ستكون الخسارة كبيرة في حق أمة يُنتظر منها أن تكون في حاضرها ومستقبلها كل شيء.

حدث في رمضان

(٨)

مشاهد العمل والاقتداء

في «الصحيحين» من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الوِصَالِ رَحْمَةً لَهُمْ»، فَقَالُوا: إِنَّكَ تُوَاصِلُ، قَالَ: «إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ إِنِّي يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِ»[(١)].

وفي «الصحيحين» كذلك من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَاصَلَ، فَوَاصَلَ النَّاسُ، فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَنَهَاهُمْ[(٢)].

(١) أخرجه البخاري (١٩٦٤)، ومسلم (١١٠٥).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٢٢)، ومسلم (١١٠٢).

وفي «الصحيحين» من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: وَاصَلَ النَّبِيُّ ﷺ آخِرَ الشَّهْرِ، وَوَاصَلَ أُنَاسٌ مِنَ النَّاسِ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «لَوْ مُدَّ بِيَ الشَّهْرُ لَوَاصَلْتُ وِصَالًا يَدَعُ الْمُتَعَمِّقُونَ تَعَمُّقَهُمْ، إِنِّي لَسْتُ مِثْلَكُمْ، إِنِّي أَظَلُّ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِ»[1].

إنك حين تقرأ هذا الحدث ترى فيه رسول الله ﷺ مغفور الذنب وهو يجهد في عبادة ربه، وبناء نفسه وتأهيل ذاته إلى أقصى درجة ممكنة، إنه يواصل صومه ليومين فأي معنى في العمل تمنحه هذه القدوة المثيرة في واقعها!

صُنّاع الحياة يحسنون فن البناء ويثرون واقعهم بمباهج العمل والتحدي والبناء في زمن باتت القدوة تتهاوى وتختل موازينها وتسقط بعض قيمها وتعجز عن الإثارة التطبيقية في واقعها في أدنى الأشياء.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٤١)، ومسلم (١١٠٤).

إنها رسالة ضخمة يهبها النبى ﷺ لصنّاع الحياة والقدوات وحُمّال المشاريع ويدعوهم لفن العمل والتطبيق قبل كل شىء، وترى كم كان لهذا العمل من أثر روحى على قلب رسول الله ﷺ حتى أفاض عليه نعيم الأرواح.

فيا لله كم للعمل من أثر على أرواح أصحابه

لو أحسنوا رواء هذه الشريعة في النفوس.

وترى في المقابل حرص ذلك الجيل الذي رباه ﷺ حتى في الشاق من العمل والمكلف لهم والمجهد لذواتهم لم يذهبوا يبحثون عن الإعذار الممكنة لتفلتهم عن العمل وانفكاكهم من تبعاته وإنما يبحثون عن الإسوة ويتطلبون مظاهر الاتباع ويجهدون في اللحاق.

وينتهى مشهد الحدث في النهاية برسالة ضخمة مفادها أن الاتباع منضبط وأن الزيادة في الشريعة كالنقص فيها لا فرق!

ولا يعد ولاء الحب والشوق مسوغـًا لذلك الإفراط بل تخاصمه الشريعة وتقف ضده وتحاصره في أضيق الزوايا وتعتبره تجاوزاً لحدود هذه الشريعة وتجنيـًا فيها ويستحق صاحبه العقاب.

هذه بعض ملامح هذا الحدث الرمضاني يخبرك أن هذه الشريعة شريعة مرتبة منظمة ويدعوك فيها للاقتداء الواعى وفق السنة ويحذرك من الغلو في مشاهدها.

حدث في رمضان

(٩)

الخـــلاف

في البخاري من حديث عبادة بن الصامت قال: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ لِيُخْبِرَنَا بلَيْلَةِ القَدْرِ فَتَلاَحَى (أي: تخاصم) رَجُلاَنِ مِنَ المُسْلِمِينَ فَقَالَ: «خَرَجْتُ لِأُخْبِرَكُمْ بلَيْلَةِ القَدْرِ، فَتَلاَحَى فُلاَنٌ وَفُلاَنٌ، فَرُفِعَتْ»[١].

رفع عِلم ليلة القدر بعد أن كادت الأمة ترتع في مساحات أثرها ما بقيت الحياة.

وكان المانع من هذا الخير خلاف بين اثنين، وخصام بين طرفين ونزاع على مساحات من الدنيا!

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩)، (٢٠٢٣)، (٦٠٤٩).

ولا تزال الأمة إلى يومها هذا تعاني أثر هذا الخلاف وتكتوي بناره وتصطلى بمساحاته وتفوتها خيرات كثيرة بسبب ذلك.

يا الله كم يفوت الأمة من خير بنزاع بعض أفرادها!

وقد قرر الله تعالى أن أقرب النتائج وأسرعها من الخلاف الفشل وذهاب اللحمة وضياع المقاصد الكبرى ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾ [الأنفال:٤٦]

فهل وعت الأمة الدرس!

واستوعبت ضياع أعظم مقدراتها من هذا الخلاف ضياع هويتها وذهاب رسمها من التاريخ!

جاء رمضان اليوم يعلمنا أن درس الوحدة من أعظم مقاصده، وهذه الجموع التى تلتقى على صفرة واحدة عند الإفطار والسحور وتتعبّد لله تعالى على مدار شهر كامل وتتوجه إلى قبلة واحدة في التراويح والقيام في صف واحد لا تختلف وجهته حقيقة بأن تعي هذا الدرس وتفقه

مضامينه وتعى آثاره وتطبّق مفاهيمه في واقعها ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً.

إن الخلاف شر وقد فقه ابن مسعود هذا الدرس فكان يتم الصلاة الرباعية مع الخليفة عثمان رضى الله عن الجميع في منى ولما سألوه عن ذلك قال: الخلاف شر.

إن الأمة اليوم تعاني تخلّفًا في جملة من مشاريعها النهضوية وقاعدة هذا التخلّف هو النزاع والشقاق الذي بلغ مداه وتوسّع بشكل ملحوظ على مستوى الأفراد والأسر والمجمعات ولعل سؤالاً لأقرب محكمة ستعرف من خلالها أن أكثر معاملاتها ما يتعلّق بالنزاعات الأسرية (نموذجًا) فإذا ما توسّعت قليلاً ادركت أن خلافات يتقد فتيلها بسبب نعرات قبلية على أراضى أو عادات أو وقائع وأحداث كانت يومًا ما!

فإذا ما وسّعت الدائرة قليلاً وجدت خلافًا بين أصحاب الحق الواحد وأكثره على الفاضل والمفضول،

وجله على الوسائل!

وربما خرجت الأمة من شهر رمضان ولم تضيق هذه المساحة فضلاً أن يتم إغلاق جزء كبير من ملفاتها.

إننى أؤكد في هذه المساحة على دور الفرد وأن يبدأ كل واحد منا من دائرة تأثيره وفي مساحته ويتنازل هو أولاً عن الخلافات التى يعيش واقعها ويسد فرجها ثم يتوسّع قدر جهده في المساحات الممكنة.

وعلى الجهات ذات العلاقة بالإصلاح أن تتبنى هذا المشروع وتدعمه وتحاول جاهده في مد آثاره قدر وسعها، وعلى الدعاة على وجه الخصوص أن يرتفعوا قليلاً عن هذا الوحل، وأن يتعاملوا مع كل مجتهد كما تعامل النبى ﷺ مع حاطب في قصة خطابه الذي كتبه لقريش في مكة. والله المسؤول أن يصلح قلوبنا ويرزقنا الاجتماع والائتلاف إنه ولي ذلك والقادر عليه.

حدث في رمضان

(١٠)

غـــزوة بـــدر

في السابع عشر من شهر رمضان كانت قصة البداية وملحمة التاريخ وشروق شمس الربيع ونُقلة الأمة المستضعفة من زاوية ضيقة إلى بساط الدنيا الفسيح!

بدر أول معركة يخوضها الإسلام برجاله الجدد، وأول ميدان يتم فيه تطبيق المفاهيم والقيم التى تعلمها ذلك الجيل على أرض الواقع.

بدر في بدايتها رسالة ضخمة مفادها أن الله تعالى يجري أقداره لحكم يريدها ومشاهد يعرفها ولحظات يسوقها دون إدراك الإنسان لشيء منها.

خرج الصحابة لقافلة قريش ولم يكن في حسبانهم خوض رحى معركة في شهر رمضان وقد قال الله تعالى: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ٦ وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧﴾ [الأنفال:٥-٧].

وكان ما أراد الله تعالى فحق الحق بكلماته وقطع دابر الكافرين، يسوقهم الله تعالى لأرباح الدارين ويتوقفون في الطريق مراراً.

من نحن لولا الله! لله حكمة يسوقهم إليها هى ذاتها التى عاشوا لها أعمارهم لكنهم أضعف من أن يعرفوا مصالحهم لولا توفيق الله لهم.

نجت قافلة قريش بما فيها وأثار الله الموقف في نفوس قريش ليكون سببًا للخروج فلم يتخلّف منهم أحد إلا أبا

لهب فاستشار النبى ﷺ صحابته وكل قال برأيه حتى جاء المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله امض لما أراك الله فنحن معك والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة:٢٤] ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه»

وقام سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلّف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصبر في الحرب، صدق في اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسِرْ على بركة الله!»[(١)].

(١) أخرجه هكذا مطولًا: الطبري في «التفسير» (١١/ ٤١)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٣١)، وأخرجه البخاري في «صحيحه» مختصرًا، برقم

ما الأمة إلا بأفرادها! وما التاريخ كله دون هذه الهمم!

وما الحياة إذا لم تكن الحرية بهذه المعاني!

تطمّن القائد على جاهزية أفراده وقوة صفه وصمود رجاله فبقى توفيق الله استقبل القبلة ومد أكف الضراعة وشكى إليه الحال «**اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ**»(١).

فلم يبق شيء من أدوات النصر لم تدق طبوله في الحرب بعد!

لم يبق إلا غمار المعركة ومشاهد القتال وبريق السيوف وصدق اللقاء، ثلاث مئة مقاتل وتسعة عشر رجلاً من المسلمين مقابل ألفًا من المشركين.

وتنّزلت مباهج الدعاء ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال:٩] يا الله ما أجوجنا للدعاء!

(٣٩٥٢)، (٤٦٠٩).

(١) أخرجه مسلم (١٧٦٣).

وما أحوجنا للصدق فيه والإلحاح على الله وتكرار همومنا أمام فيض الكبير المتعال! واستثار ﷺ صحابته في بداية المعركة قائلاً: «**قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ**»(١).

وكذلك يصنع الكبار يملكون طاقة كافية ويملكون في ذات الوقت فن دق جرسها في نفوس غيرهم في الوقت المناسب وثارت مشاعر عمير بن الحمام ورمى بتمرات في يده قائلاً: والله إنها لحياة طويلة حتى آكل هذا التمرات واستقبل رحى المعركة ولم يخرج منها حتى عانق الجنان!

ما قتل الأمة اليوم شيء ما قتلها التواني وحساب التكاليف والعوائد والتردد في مشاريع نتائجها كالشمس في رابعة النهار! عمير هنا يقدم درساً بالمجان وينتهى مشهد الدنيا كله في لحظة ويقدم روحه فداء هذا الدين، والأمة اليوم قد لا تحتاج كثيرين في معاركها التي تدار في الواقع

(١) أخرجه مسلم (١٩٠١).

وإنما تحتاج من يضحى من أجل مشروع أو فكرة ناهضة أو رسالة مثيرة ويدفع بأمته لآمالها الكبار.

فقط يا أيها القراء ارعوا المساحات الممكنة وبثوا فيها أشواق الحياة، واكتبوا للأمة أن همومكم الفاعلة في مساحاتكم الممكنة فحسب فذلك الذي تتمناه!

بدأت المعركة والتقى الصفان، صف الإيمان وصف الكفر الأرواح التى تشتاق للآخرة والأجساد التى تعيش للعاجلة ونزلت الملائكة من السماء تخوض المعركة وتجالد مع أهل الحق في ذات الله تعالى.

انتهت المعركة بعد أن قُتل من المشركين سبعون وأسر سبعون وفر الباقون لا يلون عنقًا على شيء!

وذهب الكبر أمام صدق القلوب، وتلاشت قوى الكثرة أمام صمود القلة وصار كل واحد من هؤلاء يبحث عن حياة بأي صورة ومعنى!

انتهت بدر وبدأت دولة الإسلام تأخذ حظها من المكان والزمان وكان الدرس لقادة قريش صفعة لا يمحيها الزمان والذين شُغل النبى ﷺ بتربيتهم في مكة زمنـًا طويلاً جاؤوا يصنعون حكايات مثيرة من البذل والعطاء والتضحية!

هذه بدر إطلالة التاريخ على العز تذكرنا بأن رمضان شهر التضحية والبذل، وأن رايات الجهاد هى جزء من تاريخ الأمم، هذا تاريخنا وهؤلاء أسلافنا وهذه ذكريات مجدنا ومن حقنا أن نتغنى بالذكريات.

والأمة اليوم علاها غبش المفاهيم فإذا سمعوك تتحدث عن الجهاد عز الأمة وتاريخها تلفتوا وجلين وتبدت لهم صور داعش وجماعات التكفير وتحول بهذا تاريخنا من عز وشرف إلى تهمة صنعها العدو وألبسنا قميصها وجعلها حربـًا حتى على مفاهيمنا الشرعية! أين صور داعش والتكفير من الجهاد الشرعى الذي كان يخيّر عدوه ما بين الإسلام أو الجزية قبل بداية أي معركة!

أين هذه الصور التى تتناقلها وسائل الإعلام من الإسلام الذي يحذّر من قتل النساء والصبيان والشيوخ في كل معركة!

أين الجهاد الشرعى الحقيقى الذي يخاصم فيه النبى ﷺ صاحبه وحبه أسامة لأنه قتل رجلاً لاذ منه ونطق الشهادة فقال له ﷺ: «**أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ**».

قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا كَانَ مُتَعَوِّذًا!

فقال ﷺ: «**أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ!...**»[(١)].

بلغ من خطورة عدونا أنه جنّدنا لحرب ديننا بعضنا يسفك الدم دون أدني عذر، وبعضنا يشوّه صور مفاهيمنا بقلمه ولسانه، وبعضنا اكتفى منه العدو بأن خلق في قلبه القلق من تلك المفاهيم.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٦٩)، ومسلم (٩٦).

وعز الأمة وفخرها وسؤددها بأن تقرأ شريعتها قراءة واضحة، وتفقه مساحات دينها كما أراد الله تعالى لها، وتفاخر بكل مصطلح جاءت به الشريعة، وحلول مشكلاتنا يجب أن ينطلق من الوحي كقاعدة حتى يصل لمقصوده لا إن يشكك في مفاهيمه ويجهد في تشويه قيمه ومبادئه.